

سورة الكهف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ

بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (38)

شرح الكلمات:

«لكن أنا» {هُوَ اللَّهُ رَبِّي} أي أنا شأني أن أقول: «الله ربي»

{وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} من خلقه في عبادته.

المعنى الإجمالي :

قوله تعالى: {لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا} فأقر بربوبيته لربه، وانفراده فيها، والتزم طاعته وعبادته، وأنه لا يشرك به أحدا من المخلوقين.

وقوله: {هُوَ اللَّهُ رَبِّي} تفويض مطلق لذي الجلال والإكرام؛ لأنه ربه الذي خلقه وقام عليه حتى بلغ ما بلغ بين الأحياء؛ لأنه الحي القيوم، وأكد الوجدانية بقوله: {وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}، وهذا تعريض بالذين يؤمنون بأن الله تعالى خالق السماوات والأرض وأنه لا خالق سواه، ومع ذلك عند العبادة يشركون به، وقوله تعالى: {بِرَبِّي} يفيد مع ما سبق علة العبادة وعدم الإشراك فيها، ويقولون هو خير لمبتدأ محذوف تقديره لكن الأمر هو الله ربي ولا أشرك بري أحدا،

لقد خلق الله تعالى الكون في ستة أيام بدون تعب ولا مشقة وإن ذلك عليه ليسير، كما قال سبحانه:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [سورة ق: 38]. أي عظمة هذه؟ وأي قوة؟ وأي قدرة؟ فسبحان العلي العظيم.. وأمام هذه العظمة لا بد أن يقف الإنسان وقفات يعرف بها أين هو من هذه العظمة وما دوره تجاهها:

1. أن يعلم الإنسان أنه ضعيف بخلقته وطبيعته، ولتقوية ذلك الضعف عليه أن يكون من المطيعين لله حتى يقوى ويكون من المقربين، فإنه لو عصى الله وتكبر عليه ازداد ضعفاً وزلاً وهواناً وبُعداً من ربه.

2. أنه لا بد من التفكير في خلق السماوات والأرض للتعرف على الله الخالق العظيم، وقد أثنى الله على المتفكرين في عظمة الكون، فقال * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {آل عمران: 190-191}.

3. أن يسخر الإنسان وسائل التطور الحديثة في طاعة الله وفي الدعوة إلى سبيله، وأن يزيده النظر في الكون بصيرة إلى بصيرته وإيماناً إلى إيمانه، وخاصة عندما يرى الأرض من مكان بعيد وهي تتحرك كالكرة في الجو، وكلما سمع عن اكتشاف جديد لما في هذا الكون من أسرار ذكر عظمة الله وزاده ذلك قوة في دينه واستقامة على شرع ربه.

4. عند النظر في عظمة الكون المخلوق لله فإنه يجب على الإنسان أن يتواضع وأن يعلم أنه مخلوق صغير جداً يتحرك على ظهر الأرض، وهذا يزيده معرفة بنفسه وذاته، ويكون على علم ويقين أنه مخلوق ضعيف، وأنه عائد إلى الله العلي العظيم.

5. ألا ييأس المسلم من تسلط الأعداء على الدين وأهله، وأن يعلم علم اليقين أن الله على كل شيء قدير وأنه من عظمته يقول للشيء كن فيكون، فتزداد ثقته بالله وتمسكه بحبله، ويعلم أن العباد ضعفاء محتاجون لله العظيم، مهما تكبروا وطغوا في الأرض، فأنهم عائدون إلى رحمهم العظيم الأعلى.

ورد التحذير من الشرك في كثير من آيات القرآن والسنة عن المسلمين، منها:

قرآن: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»

قرآن: «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»

قرآن: «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ»
قول النبي محمد: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله..)

قسم بعض علماء المسلمين الشرك إلى نوعين:

شرك أكبر: وهو صرف العبادة كلياً لغير الله، أو اعتقاد صفات الأولوية والربوبية بشيء غير الله. وهذا النوع مخرج عن ملة الإسلام، صاحبه مخلد في النار إن مات على ذلك ولم يتب.

شرك أصغر: وهو الرياء، يقول شدداد بن أوس: «كنا نعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر الرياء». وهذا النوع غير مخرج من الملة، وإن كان محبطاً لثواب العمل المراءى فيه.

مظاهره الشرك:

1-عبادة القبور واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات ويفرجون الكربات والاستعانة والاستغاثة بهم والله سبحانه وتعالى يقول: { وَقَصَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تُعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ... } سورة الإسراء/23

2-دعاء الموتى من الأنبياء والصالحين أو غيرهم للشفاعة أو للتخليص من الشدائد.

3- بعض عباد القبور يطوفون بها ويستلمون أركانها ويتمسحون بها ويقبلون أعتابها ويعفرون وجوههم في تربتها ويسجدون لها إذا رأوها ويقفون أمامها خاشعين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم وحاجاتهم من شفاء مريض أو حصول ولد أو تيسير حاجة وربما نادى صاحب القبر يا سيدي جئتك من بلد بعيد فلا تحبيني

وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (400)



قوله من تفسير سورة الفرقان الآية 38

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

أعدها (عزمي إبراهيم عزيز)

7- الشرك أعظم الذنوب، وذلك لأمر:

- 1- لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.2- وأنه لا يُغْفَر لمن لم يتب منه.3- وأنه حَرَّمَ الجنة على المشرك، وأنه خالد مخلَّد في نار جهنم.4- والشرك يُحِيط بجميع الأعمال.5- وأن المشرك حلال الدم والمال.6- وأن الشرك أكبر الكبائر.

9- الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

بين الشرك الأكبر والأصغر فروقٌ عديدة، أهمها ما يلي:

- 1- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فَتَحَتِ المشيئة.
- 2- أن الشرك الأكبر مُحِيط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحيط إلا العمل الذي قارنه.
- 3- أن الشرك الأكبر مُخْرِج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرج منه.
- 4- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار، ومُحَرَّمٌ عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

10- التوحيد له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج جميلة، ومن ذلك ما يأتي:

1. خير الدنيا والآخرة من فضائل التوحيد وثمراته.
2. التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات.
3. التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} سورة الأنعام، الآية: 82
4. يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة.
5. يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات،
6. يدخل الله به الجنة..... والله أعلم.. وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

والله عز وجل يقول: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } سورة الأحقاف/5.

4- من مضاهره أيضاً المنتشرة الذهاب إلى السحرة والكهان والعرافين والاستعانة بهم.

5- الذبح لغير الله والله يقول: { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } سورة الكوثر/2.

الفوائد :

- 1- تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء.
- 2- قال النووي رحمه الله :
" الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ، فيكون الكفر أعم من الشرك " انتهى
- 3- معنى الشرك شرعاً:
قال ابن سعدي: "حقيقة الشرك أن يُعْبَدَ المخلوق كما يُعْبَدُ الله، أو يعظَّم كما يعظَّم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية.
- 4- إن الذي خلَقني وخلق هذا الكونَ وما فيه هو الله ربي، وأنا أومن به وأعبدُه وحده ولا أُشْرِكُ معه أحداً.
- 5- شرك تارة يكون ظاهراً : كشرك عِبَاد الأوثان والأصنام وعِبَاد القبور والأموات والغائبين .
- 6- تارة يكون خفياً : كشرك المتوكلين على غير الله من الآلهة المختلفة ، أو كشرك وكفر المنافقين ؛ فإنهم وإن كان شركهم أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار ؛ إلا أنه شرك خفي ، لأنهم يظهرون الإسلام ويخفون الكفر والشرك فهم مشركون في الباطن دون الظاهر .